جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية التربية الأساسية
مجلة كلية التربية الأساسية
العراق - بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Minstry Of Higher Education & Scientific Research
Al-Mustansirya University
College Of Basic Education
Jurnal Of Basic Education
Iraq - Baghdad

العدد : ٢٩
التاريخ : ٢٨/ ١ /٢٠١٩

No:
Date:

قبول البحث للنشر

السيد / أ. د. لمى عبد القادر خنياب ، م. م. حسن هادي عبد النبيّ

بعد التحية ...

تدارست هيأة التحرير البحث المقدّم من قبلكم والموسوم :

القصدية والمقبولية في الخطاب القرآني دراسة نصية

آيات الرد أنموذجاً

وبعد الاطلاع على آراء المقوّمين فقد قررت في جلستها ذي الرقم ٧ المنعقدة بتاريخ ٢٧/ ١ /٢٠١٩

- قبول البحث للنشر وسينشر في الأعداد المقبلة من المجلة . ✓
- إجراء التعديلات قبل إعادة النظر في قبوله .
- رفض البحث ونأمل ان تتمكنوا من نشره في مجلة أخرى .

الأستاذ الدكتور
كريم طلال الركابي
رئيس التحرير

البريد الالكتروني : educatjournal@yahoo.com
معتمدة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ٢٨٦
رقم الايداع لدى دار الكتب والوثائق ٦١٦ لسنة ١٩٩٤
رقم التصنيف المعياري الدولي ISSN 1851-7467

القصدية والمقبولية في الخطاب القرآني دراسة نصّيّة آيات الردّ أنموذجًا

أ. د. لمى عبد القادر خنياب م. م. حسن هادي عبد النبيّ
جامعة القادسية / كلية الآداب

الملخّص

يعنى هذا البحث بدراسة معيارين من معايير علم لغة النص السبعة التي جعلها علماء النص أساساً مشروعاً في إيجاد النصية في النصوص الإبداعية ، والمعياران هما (القصدية والمقبولية) اللذان شكّلا ثنائية ألقت بظلالها على ثنائية المنتج والمتلقي ، فالقصدية تتعلّق بمنتج النص ، والمقبولية تتعلّق بمتلقيه . وتنطلق ثنائية القصدية والمقبولية من اللغة ، معتمدة في ذلك على معياري الاتّساق والانسجام ، فلا قصد أو قبول من دونهما . ويحاول هذا البحث التنقيب عن تجليات القصد والقبول في الخطاب القرآني ، متّخذاً النصوص التي اشتملت على التفاعل اللغوي المباشر في أيّ شكل من أشكال التواصل التفاعلي ، كالحوار أو المناقشة أو المجادلة ، أي النصوص المحكية التي تنقل لنا الحوارات التي دارت بين أطراف الخطاب . تلك التي يكون الحديث فيها مباشراً وجهاً لوجه ، وأنّ التلقّي الذي يُبحث هنا هو التلقّي الذي يمارسه مَن وُجّه إليه الخطاب ، فكان طرفاً ثانياً من أطراف التواصل ، لا التلقّي الذي يمارسه القارئ عند قراءته للنص ، أي المتلقّي الفعلي في الخطاب لا المتلقّي المجرّد في كلّ زمن .

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على خيرته من خلقه محمّد النبي الأمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وبعد :

يُعدّ القصد أو القصدية من منظار اللسانيين المعاصرين معياراً من المعايير التي تتحقّق بها النصية ، وهي شرط ثالث من الشروط الجوهرية الأربعة اللازمة لوصف نصّ ما بالنصية[١] . وتمثّل جانباً مهماً من جوانب العملية التواصلية ؛ إذ ترتبط بالإفهام أو الغاية ، على اعتبار أنّ كلّ منتج خطاب يسعى من خلال إنتاجه إلى غاية يريد إيصالها إلى المتلقّي (المستمع/ القارئ) .

فالخطاب التواصلي ينبني على وجود ثلاثة عناصر رئيسة ، هي : (المنتج ، والنص ، والمتلقّي) ، يقع على المنتج أن يوظّف في خطابه كلَّ ما من شأنه أن يُسهم في إفهام النص ، ومن ثمّ يؤدّي إلى خلق استعداد لدى المتلقّي، إذ يقع على عاتقه نجاح عملية التواصل ، أمّا المتلقّي فتقع عليه مهمة قراءة النص قراءة فعّالة ، تؤدّي إلى فهمه وإمكان تأويله ، وتحليله بشكل يمكّنه من الحكم على انسجامه الداخلي ، ومن ثم قبول النص من عدمه .

وتأسيساً على هذا فإنّ محاولة إظهار القصد وبيان مقبولية الخطاب ينبني على دراسة النصوص القرآنية التي تضمّنت ردوداً ، أي دراسة النصوص التي اشتملت على أطراف العملية التواصلية من متكلّم/ منتج ، ومتلقٍّ/ مستمع . إذ ينطلق المتكلم في بناء نصّه أو خطابه على وجود مخاطَب ما ، ويقوم هذا الأخير بإنشاء ردّه بناء على ما وُجّه إليه.

ـ القصدية (Intentionality) :

والقصد في اللغة يُراد به استقامة الطريقة[٢] . وقد قرنه (ابن فارس) بالمعنى ، قال : ((المعنى هو القصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بُحث عنه ، يقال : هذا معنى الكلام ومعنى الشعر ، أي الذي يبرز من مكنون ما تضمّنه اللفظ))[٣] . وقد يُراد بالقصد إتيان الشيء ، والنحو نحوه[٤] . وعلى المعاني المتقدّمة يتّضح ((أنّ المراد بالقصد من الكلام هو إيصال المعنى بطريق مستقيم ، واضح المعالم ؛ لأنّ من يقصدُ مكاناً يتّجه نحوه ، ومن يقصد مخاطباً يتّجه نحوه ، ليوصل ما يريد من معنى))[٥] .

والقصدية مصطلحاً حدّده (دي بوجراند) بأنّه معيار ((يتضمّن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قُصِد بها أن تكون نصّاً يتمتّع بالسبك والالتحام ، وأنّ مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطّة معيّنة للوصول إلى غاية بعينها))[٦]. ومعنى هذا ((أنّ للقصد تأثيراً في بنية النصّ وأسلوبه ؛ ذلك أنّ الكاتب يبني نصّه بناءً معيناً، ويختار لذلك الوسائل اللغوية الملائمة بما من شأنه أن يضمن تحقيق قصده))[٧].

فالقصد تعبير عن هدف النص ، وهو يتضمّن موقف المنشئ من أنّ مجموعة الصور والأحداث اللغوية يُقصد بها أن تكون نصّاً يتمتّع بالاتّساق والانسجام ، وأنّ هذا النصَّ وسيلةٌ لمتابعة خطّة معيّنة للوصول إلى غاية بعينها ، تكون تلك الغاية مقصدَ منشئ النص[٨] .

أمّا المحدثون من اللسانيين العرب فقد اتّكأوا حيال هذا المفهوم عمّا قرّ في المدوّنة اللسانية الغربية، فالقصديّة عندهم تشير إلى اتّصالها ((بنية منشئ النصّ أن ينتج نصّاً ذا سبك وتعليق ليصلَ إلى ما خطط للوصول إليه))[٩] .

إنّ هذا المفهوم يؤدّي بنا إلى أمر مفاده أنّ بيان القصد أو القصدية يقتضي وضع خطة أو تشكيلة لغوية يعمد إليها المنتج حين إنتاجه النص ، لتجعل منه نصّاً متسقاً منسجماً[١٠] . إذ يعتقد المنشئ أنّ سلسلة الأحداث القوليّة التي ينتجها يمكن أن تشكّل نصاً متّسقاً منسجماً يكون أداة لتحقيق مقاصده ، كأن ينقل معرفة أو يحقّقُ هدفاً جرى توصيفه في إطار خطّة موضوعة[١١] .

وهذا ما جعل (دي بوجراند ودرسلر) يؤكّدان على وجود صلة وثيقة بين معيار القصدية ومعياري الاتساق والانسجام ، كون أنّ محافظة منتج النصّ عليهما تتضمّن حرصه على دوام التواصل ، ورغبته في إيصال مقاصده إلى متلقيه[١٢] .

وعلى ضوء هذا الفهم يمكن القول : إنّ للقصدية أثراً كبيراً أو أهميةً في إنتاج النصوص ؛ ذلك أنّ ((إنتاج النص ... ليس هدفاً بحدّ ذاته ، وإنّما يكون دائماً تحقيقاً لقصد المتكلّم ، ويخدم دائماً تلبية حاجات الاتصال ، ولأنّ النصوص تشكّل في أصلها الصيغة الأساسية للاتّصال اللغوي ، فإنّها تُفهم بصفتها وسيلة عالمية لتحقيق قصد الأفراد الفاعلين اجتماعياً ، ويُنظر إليها بوصفها وسيلة عالمية لتحقيق حالات مرغوبة لدى المتكلّم ، وهي وسيلة يستطيع المتكلّم بواسطتها الوصول إلى شيء في قضية التأثير المتبادل بين أفراد

المجتمع))[١٣] ، فتكون القصدية بذلك جوهر العملية التواصلية، إذ لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات من دون وجود قصدية وراء فعل التواصل[١٤]. وهذا يدلّ على أن ((لا غنى لأيّة تشكيلة لغوية، يُراد استغلالها في التفاعل الاتصالي، عن توافر القصد بأن تكون نصّاً، وعن قبولها بهذا الاعتبار))[١٥] .

على أنّ فعل التواصل أو الاتصال لا يتحقّق إلاّ عن طريق ((التفاعل المصاغ بواسطة الرموز، وهو يخضع، ضرورة، للمعايير الجاري بها العمل، التي تحدّد انتظارات مختلف أنماط السلوك المتبادلة، على أساس أن تكون مفهومة ومُعترف بها ، بالضرورة ، من طرف ذاتين فاعلتين على الأقل))[١٦] . والتفاعل على هذا الفهم هو نشاط تواصلي ، وممارسة اجتماعية رمزية تصاغ بواسطة اللغة[١٧] .

وفي هذا الجانب تبرز أهمية القصدية في أنّها تمثل جزءاً أساسياً من دلالة الخطاب والفهم ، ((فالدلالة تعني ضرورة قصد التواصل من قبل المرسل ، والفهم ، يعني الاعتراف من قبل المتلقي بقصد تواصل المرسل))[١٨] . ولعلّ هذا ما جعل (نصر حامد أبو زيد) يجزم أنّ دلالة الخطاب لا تتبيّن إلاّ بفعل قصد المتكلّم[١٩] .

فـــ((القصد جزء من دلالة النص ، وليس جزءاً من دلالة الكلمة ، ولذا ، فإنّ أيّ نصّ يخلو من القصد لا يرقى إلى مرتبة الخطاب ، وبالتالي لا يقوى أن يحافظ على انسجامه الداخلي ، أو على منطقه الذاتي ، وسيفقد في النتيجة توجّهه الإيصالي . ألا وإنّ النصوص مراتب وأنواع: فهناك نصّ يقوم الخطاب فيه على عدد كبير من الجمل، وهناك نص يقوم الخطاب فيه على جملة واحدة ، وهناك نص يقوم الخطاب فيه على لفظة مفردة ، ولكنّها ربّما تستدعي نصوصاً كثيرة . ولكن ما يجب أن ندركه ، هو أنّ النصّ ... في كلّ مراتبه وأنواعه لا يقوم إلاّ بقصد ، وأنّ القصد لا يكون مدلولاً إلاّ مع النص . ومن هنا ، فإنّه لا يصحّ النظر إلى دالّ الكلمة بوصفه دالّ القصد ، وإنّما يجب أن يُنظر إلى النص بوصفه دال القصد))[٢٠] .

وبذلك يكون النص ((هو محور القصدية ، وهو السلطة المرجعية التي يحيل إليها من يؤمنون بمبدأ القصدية ، ... السلطة التي يتمتّع بها النص في ظلّ فلسفة توصيل تقوم على مفاهيم الرسالة والمرسل والمستقبل ونظرية لغوية تقوم على قدرة اللغة على الدلالة وتحقيق معنى في ظلّ التوحدّ التقليدي بين الدال والمدلول))[٢١] .

نخلص ممّا تقدّم أنّ ثمّة علاقة بين المنتج والأحداث اللغوية التي يستعملها في إنتاج النص ويوجّهها إلى المتلقي ، إذ تكون هذه الأحداث بمثابة أداة تبيّن قصده ، وأنّ القصد بحسب (كلاوس برينكر) ، هو الفيصل الوحيد في تحديد وظيفة النص، فهو ما يريد المنتج إفهامه عن طريق ما يستعمله من قواعد ذات طبيعة لغوية وتواصلية[٢٢] .

وهذا ما أكّد عليه (سيرل) بقوله : ((المعنى اللّغوي صورة حقيقية من القصديّة ، ولكنه ليس قصديّة باطنية ، وإنما قصديّة مشتقة من القصديّة الباطنية لمستعملي اللغة))[٢٣] . والمراد بالقصدية الباطنية ، أو القصدية الأصلية، التمثيلات العقلية الخاضعة لذواتنا، التي لا تخضع لملاحظ خارجي كالرغبات والاعتقادات، أمّا القصدية المشتقة فهي التي تعتمد على الملاحظ ، كالقصدية التي تعتمد على مستعمليها المالكين للمعنى ذاته الذي تملكه هذه اللغة[٢٤] .

إنّ هذا القول الأخير قد يثير – في الحقيقة – تساؤلاً ، مفاده أنّ القصدية لا تتعلّق بالوقائع اللغوية فحسب ، ذلك أنّ بعض الوقائع ليست لغوية ، فهل يمكن أن تحتوي على قصد ؟ .

وفي هذا الشأن يبيّن (محمد مفتاح) : ((أنّ العملية التواصلية القصدية تفترض طرفين إنسانيين : مرسل ومتلقٍ ، بيد أنّ المقاصد أنواع : أولي يتجلّى في المعتقدات والرغبات التي تكون لدى المتكلّم . وثانوي : يكون فيما يعرفه المتلقّي من مقاصد المتكلّم . وثلاثي : ينعكس في هدف المتكلّم الذي يريد أن يجعل المتلقّي يعترف بأنّه يريد منه جواباً ملائماً))[٢٥] .

وهذا يعني أنّ ثمّة حالات عقلية وأحداث من قبيل الاعتقاد والخوف والتمنّي والرغبة والحب والكراهية وراءها قصدية ، إلاّ أنّها لا تحقّق تواصلاً ، فالقصدية على ذلك تكون لغوية وغير لغوية ، على أنّ الذي يهمنا السلوك اللغوي الذي تتحكّم القصدية المشتقة بتحديد أشكاله وخلق معانيه[٢٦] .

وأنّ القصدية التي تنتج من القصدية الباطنية غير تامة في ذاتها ؛ كونها سلوكاً غير إرادي ، وأنّها لا تشترط وجود طرفين . أمّا فعل التواصل اللغوي فيحقّق قصداً وحركة في الوقت نفسه ، إذ يسعى المنتج إلى تحقيق قصد معين في ذهن المتلقّي ، الذي لا يتعرّف على دلالة العبارة إلاّ إذا تبيّن قصدَ المتكلّم ، ممّا يدفعه إلى إنتاج الكلام بواسطة تعرّف القصد[٢٧] .

وبذلك يظهر تأثير القصدية في توجيه النصوص ، والتحكّم في أبنيتها اللغوية التي تحقّق مقاصد منتجيها ، ومن ثمّ تكشف عن وظيفة اللغة المتمثّلة في التواصل والإفهام والإقناع والتأثير .

القصدية في الخطاب القرآني :

أحدث النص القرآنيّ عند نزوله قطيعة معرفية وبيانية – بلاغية في أنماط القول السائدة ، التي برع فيها العرب من شعر وخطب ونثر ، إذ جاء بما هو أجود ، فخرقَ عاداتهم في قول الشعر وإلقاء الخطابة ونظم السجع ، ممّا أحدث لديهم انبهاراً من داخل منظومتهم اللغوية والجمالية[٢٨] . هذا مع لحاظ أنّ أسلوب النص القرآني إنّما جاء موافقاً للغة العصر التي كانت في عزّ أصالتها ونقائها ، لم تشبها عُجمة ، ولم تختلط بغيرها من الألسن[٢٩] . هذا من جهة ، ((ومن جهة أخرى اصطدم النص القرآني بعقليات جامدة ومنكرة لا تؤمن بالغيب والتجريد ، لذا أصبحت للنص وظائفُ قصدية موجَّهة يسعى لإثباتها ، وهي اجتماعية وتفسيرية واستقصائية . والنص القرآني نص حجاجي يقوم على الاحتجاج النظري والجدل ، إذ يحاجِج بأكثر من دليل لتغيير قناعاتهم))[٣٠] .

ومن هنا يكون القصد في هذا النوع من الخطاب الحجاجي تغيير اعتقاد المتلقي باعتقاد آخر يُعتقد أنّه الأصح ، ويهدف في ذلك إلى الإقناع[٣١] . و((النص القرآني يمتلك السلطة المقصودة: اللغوية والثقافية والفنية والروحية ، التي تمكّنه من السيطرة على وعي المخاطبين وأفكارهم ومعتقداتهم ودحضها بالحجج والبراهين والأدلة وصولاً إلى الإقناع والتسليم بمركزية الخطاب الإلهي، وبما يكشف عن روح القصد))[٣٢] .

وبناءً على ذلك نجد أنّ الخطاب القرآني ((يؤسّس لفعل القصدية في النص القرآني، مما استدعى بناء نظام لغوي خاص يستوفي المحتوى الشمولي ، ويستوفي عمليات الإبلاغ والإقناع ، واستقصاء المقاصد الإلهية ، وبناء كيفيات خاصة لإيصال الرؤية القصدية الشاملة))[٣٣] .

وإنّ من يدقق النظر ، يجد أنّ الفهم حيال القصد القرآني كان يشكّل مدار بحث الدراسات اللغوية والبلاغية التي قدّمها العلماء المتقدّمون ، ولاسيما عند الباحثين في الإعجاز القرآني ، إذ ركّزوا ((بشكل أو بآخر على الوقوف على أهداف وغايات التراكيب ، مع الأخذ في الاعتبار السياقات المختلفة ، وبالتالي فإنّ التراكيب ناتجة للمعاني المختلفة ، وإن تشابهت في الإطار العام ، تبعاً لاختلاف السياقات))[٣٤] .

إفهام القصد :

إنّ إفهام القصد وظيفة موجّهة نحو المتلقّي ، وذلك من خلال ما يحمله النص من رموز ودلالات لتحقيق الاستجابة في الفهم[٣٥] ، والإفهامُ سمة الخطاب القرآني الذي يخاطب الناس على اختلاف مستوياتهم في التلقّي والفهم ، ووظيفةٌ موجّهة نحو المتلقي الذي يحاول إفهامه . لذا لا تقع عملية الإفهام على المرسل من دون المتلقي ؛ لأنّ هذا يُعد قتلاً للعملية التواصلية ، وإنّما ينهض بها الطرفان بوصفهما فاعلين فيها ، وفعل الإفهام يستوجب أن يكون لدى المتلقي استعداد لذلك ، بناءً على أنّ الخطاب هو توجيه الكلام نحو الآخر للإفهام[٣٦] .

وعلى ذلك يمكن القول : إنّ إنتاج خطابٍ ما واستمرارَه مرهونٌ بفهم قصد المنتج من قبل المتلقّي ، ولاسيما في الخطاب الحجاجي ، أو الحوار ، إذ يترتّب على فهم القصد إنتاجُ خطاب مناسب للسياق، وقد ينبني على عدم فهم القصد إنتاج خطاب غير مناسب للسياق[٣٧] .

ويتأسّس على هذا الفهم أنّ المتلقي يُسهم في إنتاج النص أيضاً ، فيتشكّل لديه قصدٌ بناءً على ما فهمه من القصد الموجّه إليه ، ومن ثمّ يصبح ثمّة تواصل بين طرفي الخطاب ، ذلك أنّ ((عملية الإنتاج وما يصاحبها من قصد تتمّ في إطار تخطيط تفاعلي يحاول فيه المنتج تحقيق مقاصد معينة ، ويصبح للمتلقي دور مشارك في عمليتي الإنتاج والتلقّي بوجوده في ذهن المنتج ، ودوره في التواصل))[٣٨] .

ولأجل ذلك تذهب نظرية الاتصال والتأثير إلى ((أنّ عمليّة القراءة تسير في اتجاهين متبادلين ، من النص إلى القارئ ومن القارئ إلى النص. فبقدر ما يقدّم النص للقارئ ، يضفي القارئ على النص أبعاداً جديدة ، قد لا يكون لها وجود في النص . وعندما تنتهي العمليّة بإحساس القارئ بالإشباع النفسي والنصّي ، تتلاقى وجهات النظر بين القارئ والنص))[٣٩] .

ولهذا ذهب (محمد مفتاح) إلى أنّ القصدية لا تقتصر على المتكلّم فحسب، ولكنّها تشمل المخاطب أيضاً، وأنّها قد تتفق في درجات من الاتفاق، وقد تختلف في درجات من الاختلاف، على اعتبار أنّها غالباً ما لا تكون ظاهرة في النص بل تكمن خلفه[٤٠] .

ويبدو أنّ عدم الفهم قد يكون مردّه إلى أنّ البنية اللغوية الموجّهة من قبل المنتج إلى المتلقّي ، لم تتوفّر فيها كفاءة لغوية تمكّنها من إيصال القصد بالشكل المراد ، أو أنّ قصد المنتج قد يحمل دلالة لا تنتمي إلى الدلالة التي يفهمها المتلقّي . أو قد يكون مرتبطاً بتكوين التوقّعات والمواقف لدى المتلقّي ، إذ ((كلّما كانت الأنماط المخزّنة من التجارب قليلة كلّما كان احتمال رفض المتلقّي لأنماط جديدة أكبر ، أو كان عدم فهمه لأنماط جديدة أقرب ، وتاريخ الفكر مليء بالمواقف التي يتبنّاها المحافظون إزاء الأنماط الجديدة التي لا يفهمونها ، فيلجأون إلى رفضها حماية لأنفسهم وفكرهم من الوافد الجديد ، وصدّاً لما قد يصبح بداية لمرحلة يُهمّشون فيها لعدم فهمهم وتفاعلهم مع الفكر الجديد))[٤١] .

ـ المقبولية (Acceptability) :

والمقبولية أو القبول في اللغة مأخوذة من ((قَبِل الشيءَ قَبُولاً وقُبُولاً، ... وتقبَّلهُ، كِلاهما: أخذه، واللهُ عزَّ وجلّ يقبل الأعمال من عباده وعنهم ويَتقبّلها ... ويقال: عليه قَبُول إذا كانت العين تَقبَلُه، ... وقَبِلَه بقَبُول حَسَن، وكذلك تقبَّله ... يقال : قَبِلت الشيءَ قَبُولاً إذا رَضِيته، ... يقال : على فلان قَبُول إذا قَبِلَتْهُ النفس ؛ وفي الحديث : ثمّ يُوضَع له القَبُول في الأَرض ، وهو بفتح القاف المحبة والرّضا بالشيء ومَيْلُ النفس إليه))[٤٢] .

فالمعاني اللغوية للمقبولية تأتي بمعنى الأخذ والرضا وميل النفس ، وهي تشي بشيء ما عن ارتباطها بما أقرّه الدرس النصّي الحديث، كونها ترتبط عندهم باستجابة المتلقّي لما وُجّه إليه وأخذه له وميل نفسه إليه.

والمقبوليّة أو القبول عند (دي بوجراند) هو ما ((يتضمّن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام))[٤٣] .

إنّ معيار المقبوليّة مرتبط بمتلقّي النص حول توقّعه نصّاً متّسقاً ومنسجماً ذا فائدة، يكتسب من خلاله معرفة أو يكون مشاركاً في إطار خطّة واضحة[٤٤]. يقول الدكتور (سعد مصلوح) : ((والقبول – بعد – له أبعاد ووجهات ثقافية واجتماعية ، ويتّصل بتحديد موقف المتلقّي من الكلام ، ومدى تقبّله لسلسلة الأحداث الكلامية على أنّها نص قابل لأن يوصف بالسبك والحبك، وأنّ له نوعاً من الجدوى بالنسبة للمتلقّي ، كأن يكتسب معرفة أو يُسهم باستجابة لإنجاز خطة))[٤٥] .

فالمقبولية ترتبط بفهم النص من قبل المتلقّي ، وفهم النص يرتبط بفهم وسائل نحو النص ارتباطاً وثيقاً[٤٦] . ما يعني أنّ قبول المتلقّي للنصّ وعدم قبوله خاضعٌ لما يتعلّق بمعياري الاتّساق والانسجام بصفة خاصة ، والقواعد النحوية بصفة عامة . ولا يكتفي بهذا فحسب ، بل هو يستند إلى مجموعة عوامل من مثل ((نوع النص والسياق الاجتماعي والثقافي والقصد إلى أهداف معينة ، وبشكل عام إلى عوامل تقع خارج المنطوق واللغوي ، ولكنّها لا تقل أهمية عن العوامل اللغوية ... ، لأنّها تؤثّر في طبيعة حدث الاتصال تأثيراً كبيراً))[٤٧] . فالسياق على هذا الفهم شريك لمعياري الاتساق والانسجام في الحكم على قبول النص ، وهو يمكّننا من ((التطلّع إلى فهم أدقّ وإشراك فعلي لعمليات تقع خارج اللغة الواقعيّة؛ عمليّات استلزمتها غايات تفسيريّة لا محدودة تتأبّى على أن تنغلق في حدود الأطر الظاهرية والنظرات السطحيّة ، وترنو إلى استمرار التفاعل بين النص ومتلقيه))[٤٨] . وفي هذا الشأن يقول (دي بوجراند) : ((كون النص مقبولاً أو غير مقبول يتمّ بحسب درجية معقّدة لا بحسب تقابل ثنائي. وممّا يتّصل بذلك دائماً الاعتماد على تحفيز يتمّ بحسب دوافع الموقف. ومن المعروف ... أنّ بعض النصوص ذات القيمة إنّما تُعدّ في واقعها وفيما ينبغي لها خارج نطاق أي نحو))[٤٩] . وجعل (فان دايك) من بعض عناصر السياق الذي يُعدُّ تجريداً لما يُسمّى الموقف الاتصالي ، هي التي تحدّد قبول المنطوقات اللغوية أو عدم قبولها[٥٠] .

وبناءً على ما تقرّر فإنّه يجب أن لا يُغفل ((السياق أو الموقف – لغوياً أو غير لغوي – فهو الذي يُساعد على الحكم بالقبول أو عدمه ، ... فالسياق الذي يؤدّي إلى التقبليّة (القبول) ينبغي أن يُراعى فيه :

١. صحة القواعد النحويّة .
٢. توافق الوقوع أو (الرصف) بين مفردات الجملة .

ومن هنا نصل إلى النتيجة المطلوبة بقبول المتلقّي ، ولعلّ هذا يدلّ على أنّ المقبولية يمكن أن تكون على مستوى الجملة وعلى مستوى النص ، غير أنّها تتطوّر في الجملة عن النص ، حيث تكون المقبولية في الجملة أولاً على مستوى الرصف وصحة القواعد النحويّة ، ثمّ يأتي المعنى النصّي المتّسم بالتماسك))[٥١] .

فالمعايير النصية من اتّساق وانسجام تعمل على إمداد المتلقّي ومساعدته على قبول موقف دلالي محدّد واستبعاد الدلالة غير المرتبطة بالنص ، وإيمانه بالدلالة التي تتّسق وتنسجم مع الدلالات النصية [٥٢] . وهذا ما أكّد عليه (فان دايك) حين جعل لنحو النص إمكانية تحديد أي أنواع العبارات جائزة مقبولة ، وأيّها لا يكون كذلك بالنسبة لمستعملي اللغة[٥٣] .

ويتأسّس على هذا ((ألاّ يكون القبول معياراً بذاته من معايير النصيّة ، بل هو محصّلة إعمال المعايير الأخرى أو هو متّحد بها . ومقتضاه أيضاً أن يشتغل ... بتحديد المعنى المراد من بين المعاني المحتملة على جهة القطع ، وعلى سُنّة اتّخاذ القرار الذي يؤدّي إلى هذا التحديد))[٥٤] .

إنّ معيار المقبولية معيار نسبي كونه يتّسم بالذاتية إلى حدٍّ كبير، وتختلف فيه درجة التلقّي من شخص إلى آخر، بحسب اختلاف وجهات نظرهم في تقدير النصوص (نسبية معيار المقبولية) ، وإنّها تتعلّق بمناسبة الوسائل اللغوية المستعملة ، أي بنوع الأسلوب وأشكال التنوّع اللغوي[٥٥]. وهذا يمدّنا بحقيقة مفادها أنّ ما يكون مقبولاً لمتلقٍّ، قد لا يكون مقبولاً لآخر ، مما يحيل على اختلاف المتلقّين .

أثر المتلقّي (القارئ) في إنتاج النص :

إنّ الاهتمام بالمتلقّي متأتٍّ من النظر إلى علاقته بالنص ، والأثر الذي ينتج عن هذه العلاقة ، فـ((الاستعمال اللغوي ليس إبرازَ منطوق لغويّ ما فقط ، بل إنجازُ حدثٍ اجتماعي معين أيضاً في الوقت نفسه))[٥٦] . والحدث تفاعل لا يخضع لرغبة المنتج فحسب، بل يخضع أيضاً لخصوصية المتلقّي ، والجوانب الاجتماعية والفكرية والنفسية التي تتحكّم في بناء النص ، ولهذا فالتقبّلية صالحة للتطبيق على نصوص واردة في مواقف محدّدة ، وليس على جمل معزولة[٥٧] .

وتأسيساً على هذا فإنّ استمرار النص إنّما هو حصيلةٌ لنتاج التفاعل بين القارئ والنص[٥٨] ، وهذا قد يعني ((أنّ النصّ مفتوح ينتجه القارئ في عملية مشاركة لا مجرد استهلاك ، هذه المشاركة لا تتضمّن قطيعة بين البنية والقراءة وإنّما تعني إدماجها في عملية دلالية واحدة))[٥٩] . فالمتلقّي تتحدّد علاقته بالنصّ انطلاقاً من آلياته ، وبحسب تلقيه للنص ، ويتشكّل موقفه منه من خلال فهم بنياته ودلالاته ، وبذلك يمثّل حضوراً في النص ويتحوّل من مجرّد متلقٍّ سلبي (مستهلك) إلى منتج ، وهذا من شأنه أن يكفل استمرارية النص .

ولعلّ هذا ما دفع بعلماء النص أن يجعلوا للمتلقّي مكاناً جوهرياً في النصّ لا يقلّ عن مكان المنتج[٦٠] . وكذا الباحثون في تحليل الخطاب ، إذ جعلوا من المتلقّي العياني المحسوس سواء أكان في مستوى المرسِل أم دونه موضع عنايتهم واهتمامهم ، حتّى أدّى بهم هذا الاهتمام أن ينقصوا كثيراً من هيأة المتكلّم ، وأن يسلبوه كثيراً من سلطته ويسندوها إلى المخاطَب . وهكذا، فإنّ جلّ الدراسات اللسانية ركّزت على أهمية المتلقّي في صياغة الخطاب وتحديد وجاهته ، وقد جاء هذا تحت مفهوم التفاعل[٦١] .

فالنصّ إذن ((يكتسب حياته من خلال المتلقّي، إذ هو الذي يفكّ شفرة ذلك النص، ويستخرج ما فيه، كلّ متلقٍّ بحسب ثقافته وأفقه ومعرفته بعالم ذلك النص وسياقه، ذلك الأفق الذي يمكّنه من إدراك ما في النص من أفكار ومبادئ وجماليات))[٦٢] .

وبناءً على هذا الفهم يصبح النص ((رمزاً يحرّك دينامية القراءة والكتابة، ويكشف عن عمل الإنتاجية التي تعني إعادة توزيع اللغة عبر التقاء القارئ بالنص))[٦٣] .

وعلى ما سبق يمكن القول : إنّ معيار المقبولية يتشكّل بناءً على موقف المتلقّي اتّجاه النص ، وأنّ المتلقّي هو الفيصل الوحيد في تحديد المقبولية النصية أو رفضها ، فهو المعادل للمنتج ، وهو الذي يمنح النص صفة التواصل والاستمرار ، فـ((النصّ في وجوده مدين لمباشرة القارئ له . أو هو وجود غير محقّق ولا يتمّ ظهوره وتنفيذه إلاّ بقراءة القارئ له))[٦٤] .

التلقّي والمقبولية في الخطاب القرآني :

أسهم ظهور الإسلام في إحداث تحوّل كبير في بنية الحياة العربية ، إذ أحدث تحوّلاً على مستوى اللغة والوعي ، وكذلك على مستوى التلقّي ، فقد كان المتلقّي يصغي إلى الشعر والخطب ، ثمّ أصبح يصغي إلى القرآن ، وكان القرآن صدمة على مستوى التلقّي ، فانشغل الناس بتلقّيه ، وأين يكمن الإعجاز فيه ، وقد وجدوا أنّ اللغة أحد وجوه الإعجاز ، فانصرفوا إلى تفسير القرآن الكريم وتحليل مفرداته وجمله وفواصله، ودراسة أسلوبه ، فبرزت بذلك ولأوّل مرّة في تاريخ الفكر العربي مشكلة ثقافية كبرى أُطلق عليها مشكلة التلقّي[٦٥] .

ولمّا كان المتلقّون متفاوتين في درجة التلقّي من شخص لآخر ، بحسب اختلاف وجهات نظرهم في تقدير النصوص ، وبحسب ثقافاتهم وقدراتهم العلمية وإمكاناتهم المعرفية ، فلا شكّ أنّهم متفاوتون أيضاً في مستوى فهمهم لدلالات النص القرآني ، فتلقّي القرآن وقراءته تختلف من قارئ لآخر ؛ كون النص القرآني مفتوح على دلالات عدّة ، الأمر الذي يحيل على اختلاف القرّاء والمتلقّين، مع لحاظ أنّ ((الوسائل التي أتيحت لقارئ النص في صدر الإسلام ، غير الوسائل المتاحة في العصر الحالي ، ومن ثمّ تطور فهم النص بما يتلاءم مع هذه الوسائل ، بل قد تختلف كفاءة المتلقين لنص واحد في وقت واحد))[٦٦] .

إنّ التلقّي للنص القرآني يختلف اختلافاً جذرياً عن التلقّي لغيره من النصوص الأدبية الأخرى ، فهو نصٌّ ذو ((بناء وتركيب وتأليف وصياغة ، وأنّ هذا البناء هو كلٌّ متكامل ومعطى لساني بالدرجة الأولى، وجوهري في قيمته الدلالية والفنية والأسلوبية، ولا يمكن ردّه إلى ما ينسج حول خلفيات النص من عوامل سيكولوجية ونفسانية واجتماعية وثقافية وحضارية وتاريخية ... فعلى أهميتها ، تبقى هذه العناصر ثانوية في قراءة النص ، وبالنسبة إلى أولوية المادة اللغوية التي تدخل في صياغته وإلى الأساليب التي تتمّ فيها الصياغة))[٦٧] . فلا شكّ بعد هذا ، أنّ ثمّة فارقاً بين التلقّي في النص الأدبي الإبداعي ، والتلقي في النص القرآني المقدّس ، ففي النص العادي قد يتجاوز المتلقّي سلطة المنتج حتّى يصل به الإمر إلى إلغاء حضور المنتج ، فيعمد إلى تشريح النص وتفكيكه ، ومن ثمّ توزيعه بحسب آلياته وقراءاته ، فيعيد بذلك إعادة بناء النص فيكون هو منتجه .

أمّا في النصّ القرآني فإنّ أثر المتلقّي فيه يقتصر على فهم الدلالات واستخراج المعاني ، ولا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يُلغي حضور المنتج أو يتجاوز سلطته وقصديته ، فالقارئ أو المتلقّي للخطاب القرآني لا يكون طرفاً في العملية الإبداعية ، وأنّ سلطة المتكلم في الخطاب القرآني أكثر سلطة من القارئ ؛ لأنه مصدر الحقيقة ، وهذا لا شكّ ينسجم مع النظرية الإعجازية التي كان من الضروري تطبيقها على القرآن الكريم(٦٨) .

وقد بيّنا آنفاً ، أنّ المقبوليّة مترتّبة على معياري الاتساق والانسجام ، ((ولا شكّ أنّ هذه المعايير تعمل متضافرة (معتضدة) للوصول إلى الغاية المرجوة من النص القرآني ، وهي إيصال أفكاره فيما يتعلّق بجوانب العقيدة وتثبيتها ، وجوانب أخرى تتعلّق بالأمور الحياتية الاجتماعية ، وقضايا أخرى مهمة اجتمعت فيه ... جعلت منه نصّاً محكماً مسبوكاً ... تدلّ فيما تدلّ على اشتماله على قضايا متنوّعة غاية في الخصوصية ، كلّ ذلك للوصول بأفكاره وتصوّراته إلى المتلقّي . ويترتّب على هذه الرؤية أنّ المتلقّي/المستمع حين يسمع القرآن لا ينكره ... وقد نتج عن ذلك أنّ وضوح وجلاء هذا المعيار ، يعتمد على وضوح المعايير السابقة عليه ، فكلّما كان النص مسبوكاً محبوكاً ، أدّى إلى وصول قصد المنتج ، الأمر الذي يؤدّي إلى قبول المتلقّي النصّ كلية وعدم رفضه ، وهذه الرؤية يجسّدها القرآن بشكل واضح))(٦٩) .

بين القصدية والمقبولية :

إنّ العملية التواصلية تقوم على ثنائية (المنتج والمتلقّي) ، وهذه الثنائية ألقت بظلالها على ثنائية أخرى هي ثنائية القصدية التي تتعلّق بالمنتج النص ، والمقبولية التي تتعلّق بالمتلقّي. فالقصدية والمقبولية معياران مرتبطان ببعضهما، ولا ينفكّ أحدهما عن الآخر، إذ ((لا يمكن تحقيق مقاصد الكاتب الأساسية من كتابته للنص إن لم يستطع القارئ الوصول إلى ما يُفترض أنّ النص يقوم به ، فلكي يتمّ تلقّي النص بوصفه جزءاً من تواصل لغوي هادف، يجب أن يتمّ اعتباره كذلك ويتمّ قبوله على هذا الأساس))(٧٠) .

إنّ مهمة إنتاج النص لا يقوم بها المنتج وحده ، بل يشاركه في ذلك المتلقّي ، ((فمحلّل الخطاب يعتبر الكلمات والعبارات والجمل التي تظهر في المدونة النصيّة لخطاب ما دليلاً على محاولة المنتج توصيل رسالة إلى المتلقي؛ ممّا يجعله يُعنى – على وجه الخصوص – ببحث كيفية وصول متلقٍّ ما إلى فهم الرسالة المقصودة من قبل المنتج في مناسبة معيّنة ، وكيف أنّ متطلبات المتلقّي المفترض تؤثر في تنظيم خطاب المنتج))(٧١) .

وهذا دليل على أنّ عملية الإنتاج ليست حكراً على المنتج فحسب ، بل هي متعلقة بموقف المتلقّي الذي يقرّ بأنّ المنطوقات اللغوية هي التي تكّون نصاً متماسكاً مقبولاً(٧٢). وعلى هذا الفهم تكون العلاقة بين القصدية والمقبولية علاقة تفاعل لا سكون ، وعلى أساس ((هذا المنطلق التفاعلي تصبح المقبولية الوجه الآخر لقصد المنتج في عملية الإنتاج))(٧٣) . بل نجد من الباحثين من جعل المقبولية أو اعتراف المتلقّي بقصدية المتكلّم مقصداً ثانوياً(٧٤) .

التحليل النصّي لمعياري القصدية والمقبولية :

نود الإشارة إلى أنّ التحليل النصي لهذين المعيارين مبنيٌّ على ظروف إنتاج الخطاب، من مخاطِب ومتلقٍّ، وزمان الخطاب ومكانه، وسياق وأحداث صاحبت الإنتاج ، أي بغض النظر عن كونها نصوصاً

سردية تقتضي وجود سارد يمثّل منتج النص ومسرود له يكون هو المتلقّي ، أو نصوصاً محكية تنقل لنا الحوارات التي دارت بين أطراف الخطاب . بمعنى آخر ، النصوص التي يكون الحديث فيها مباشراً وجهاً لوجه ، واتجاه التواصل فيها حواري ثنائي ، والاحتكاك سمعي وبصري مباشراً زمانياً ومكانياً ، واللغة فيها هي اللغة المنطوقة(٧٥) .

وأنّ التلقّي الذي نحاول الوقوف عليه هو التلقّي الذي يمارسه مَن وُجّه إليه الخطاب ، فكان طرفاً ثانياً من أطراف عملية التواصل ، لا التلقّي الذي يمارسه القارئ عند قراءته للنص ، أي المتلقّي الفعلي في الخطاب لا المتلقّي المجرّد في كلّ زمن .

إنّ محاولة استجلاء القصد، وبيان مقبولية الخطاب يفرض علينا أن نستعرض من الخطاب القرآني النصوص التي اشتملت على التفاعل اللغوي المباشر في أيّ شكل من أشكال التواصل التفاعلي ، كالخطاب أو الحوار أو المناقشة أو المجادلة(٧٦) ، ثم بيان أثر هذا القصد في الردود ، ومدى مقبوليته ، وأكثر ما يكون هذا في خطاب الأنبياء (عليهم السلام) لأقوامهم ، ذلك الخطاب الذي حشّدوا فيه كلَّ ما من شأنه أن يكون فاعلاً لغرض الإقناع والتأثير .

ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى على لسان شعيب (عليه السلام) : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأعراف: ٨٥ – ٨٦] .

وفي هذا النص خطاب مباشر يُحمل على المحاورة ، وقد جاء محكياً بلفظ القول المسند إلى قائله ، وهو موجّه من متكلّم هو النبي شعيب (عليه السلام) إلى متلقّ حاضر ، والمتلقّي هم (قومه) الذين خرجوا عن الإيمان ، فبناء الخطاب هنا مرتبط بدلالته ، وبسياقه النصّي والمقامي، وهو خطاب ذو استراتيجية تخاطبية تهدف إلى تحقيق القصد والتأثير في المخاطَبين وتوجيههم .

لذا نجد أنّ أسلوب الحوار وطريقة التخاطب التي يستعملها المتكلّم شعيب (عليه السلام) يتضمن قوّةً في المحاجّة ووضوحاً في البيّنة ، وقد تضمّن الخطاب بدءاً الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده ، ويبدو أنّ هذه الدعوة هي النتيجة التي يهدف المتكلّم إلى إقناع المخاطبين بها وتوجيههم نحوها ، وقد تمّت هذه الدعوة عبر ألفاظ لا تخرج عن المعنى العام الذي سيقت له السورة ، وهو الدعوة إلى توحيد الله (عزّ وجلّ) والتشريع والإنذار(٧٧) ، وقد صدرت هذه الدعوة على شكل خطاب توجيهي بدأه بقوله (اعبدوا) ، الذي مثّل جانباً فعلياً يخدم نتيجة إيجابية ، تهدف إلى الاستجابة ، وإلى تغيير الواقع أكثر من كونه لغوياً ، فضلاً عن كونه فعلاً قصدياً يهدف إلى الإنذار والتوجيه . فالفعل لا يسمّى فعلاً ما لم يصحبه القصد(٧٨) .

والذي يلاحظ على خطاب المتكلّم أنّه قد شكّل بنية ذات صبغة دلالية ، انطلق منها في بناء خطابه ، وهي تمثيل تجريدي للدلالة الكبرى للنص الذي يقع ضمنه ، وأنّ جميع ما يرد من المتتاليات النصية لا يخرج عن الإطار الشمولي لهذه البنية . لذا نجد أنّ ألفاظ النهي من مثل (لا تبخسوا ، لا تفسدوا ، لا تقعدوا) قد مثّلت – إلى جانب الأمر – عوامل توجيهية تهدف إلى التأثير في المخاطَبين وإقناعهم . فضلاً عن

توظيف بعض المؤثّرات الموحية في خطابه عن طريق تذكيرهم بنعمة الله سبحانه وتعالى عليهم ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ ، وتخويفهم عاقبة المفسدين ﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [٧٩] .

وبذلك يكون ((حاصل ما أمر به شعيب (عليه السلام) قومه بعد الأمر بالتوحيد ، ينحصر في ثلاثة أصول هي: حفظ حقوق المعاملة المالية ، وحفظ نظام الأمة ، وحفظ حقوق حرّية الاستهداء))[٨٠] . على أنّ هذه الأصول منتقاة من المقام والواقع الذي وُجّه فيه الخطاب ، ذلك أنّ المنتج قد وجّه خطابه بناء على فهمه الدقيق لأحوال قومه وميولهم ، وبذلك يكون خطابه قد قام ((على أسس توثيقية تؤكّده في الصدق ، أهمها الإسناد إلى المتكلّم ، والمباشرة بالتوجّه إلى المخاطَب ، والقول المنجز ، والاحتجاج بالواقع ، والإحالة عليه))[٨١] .

إنّ ما وُجّه من خطابٍ لم يكن ذا أثرٍ في المتلقين ، ما ألجأهم هذا إلى عدم إطاعته والميل إلى خطاب الرفض المتمثّل بإخراج شعيب والذين أمنوا معه من قريتهم أو العود إلى ملّة الكفر ، إذ جاء ردّهم : ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف : من الآية ٨٨] . وفي ردّهم هذا دليل على ((أنّهم فاعلون أحد الأمرين لا محالة وأنّهم ملحّون في عودهم إلى ملتهم [إذ] كانوا يظنون اختياره العود إلى ملّتهم))[٨٢] .

وثمّة فرق بين خطابهم الذي ارتكز على التهديد والوعيد بعيداً عن المحاججة ، وخطاب شعيب (عليه السلام) القائم على التوجيه والإرشاد المعزز بالبرهنة ، فاختلاف طبيعة الخطاب نابع من اختلاف القصد .

إنّ رفضَ الخطاب لا يرجع إلى غياب الكفاءة اللغوية في إيصال القصد المراد ، وإنّما هو راجع إلى عدم وجود شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج[٨٣] ، وعدم وجود استعداد ذاتي عند متلقّي النص ، وإلى الجمود الفكري والإعراض عن الاستماع ورفض الحوار . فضلاً عن ذلك ، إنّ قصد المنتج قد يحمل دلالة لا تنتمي إلى الدلالة التي يفهمها المتلقّي ، وبذلك تستحيل ملاءمة قصدية المنتج لقصدية المتلقّين ، ممّا يسبّب فتور التواصل بينهم . لذا كان في قوله تعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأعراف: ٩١] ، دليل على عدم الاقتناع من جهة متلقّي الخطاب ، وجزاءٌ مترتب على عدم تقبّلهم لخطاب نبيهم وإنكاره .

ونظير ما مرّ ، ما جاء في خطاب هود (عليه السلام) الموجّه إلى قومه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٠ – ٥٢] .

وقد وجّه المتكلّم خطابه إلى قومه بشكل مباشر ، إذ عرض فيه دعوتهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى ، وقد شكّل خطابه انعكاساً للطرح الفكري للسورة وموضوعها العام الذي يعالج مسألة العقيدة والنهي عن عبادة غير الله تعالى[٨٤] .

إنّ الخطاب الذي يُلزمهم فيه بالدعوة إلى التوحيد جاء مقروناً بالدعوة إلى الاستغفار ثم التوبة ، ومتبوعاً بألفاظ تهدف إلى إيقاع التأثير فيهم . إذ بيّن أنّ الجزاءَ المترتّبَ على الاستغفار والتوبة هو إمدادُهم

بالمطر وزيادةُ قوّتهم[٨٥] . ويبدو أنّ المنتج وظّف في خطابه ما يتعلّق بالوعد مناسبة لحالهم ، لذا ((قصد استمالتهم إلى الإيمان، وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة؛ لأنّ القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين ...، فكانوا أحوج شيءٍ إلى الماء ، وكانوا مُدلينَ بما أوتوا من شدّة القوة))[٨٦] .

فالاستغفار والتوبة ، إذن ، حادثتان أو شرطان يتسبّب عنهما إرسال السماء عليهم مدراراً ، مع زيادة في قوّتهم ، وهذا لا شكّ يؤدّي إلى تعالق الوقائع ؛ إذ كان فيها السبب يحمل شرطا كافياً لوقوع النتيجة[٨٧] ، وهذه يدلّ على وجود علاقة تعمل على إحداث بناء منطقي بين أجزاء النص التي تخلو من أي رابط لفظي بينها .

الذي يلاحظ في الخطاب حضور عنصر التكرار في جملة النداء (يا قوم) بشكل مكثّف ، إذ افتتح المنتج دعوته بها لاسترعاء أسماع المخاطبين إشارة إلى أهمية ما سيُلقي إليهم[٨٨] ، ثمّ كرّرها غير مرّة ، ممّا شكّل التكرار عنصراً اتساقياً أدّى فعلاً تعبيرياً واضحاً ؛ هدفَ منتج الخطاب من خلاله إلى استمالة متلقّي الخطاب ، وقد أسهم في تحقيق الربط والاتّساق على مستوى مجموعة من الجمل ، لا على مستوى جملة واحدة فقط ، فمثّل بذلك دعماً لبناء النص ، فلو خلا النص منه لكان أقرب للتفكّك منه إلى الاتّساق ؛ إذ لا يمكن بغيابه تصوّر وجود النص .

إنّ إظهار الطابع القصدي للخطاب يتطلّب أن يتمتّع هذا الخطاب بميزتي الاتّساق والانسجام ، ولا شكّ أنّ الخطاب قد اتّسم بهما ، فوجودهما في النص يضمن حرص منتج النص على دوام التواصل ، ورغبته في إيصال قصده إلى المتلقّي[٨٩] .

إنّ عدم إحاطةِ متلقّي الخطاب بقصدية الخطاب الموجّه إليهم وجهلَهم بها أنتج ردّاً غير مناسب لسياق التواصل ، وكان ردّهم يمثّل رفضاً للمعطيات الحجاجية وعائقاً أمام تواصلهم مع النبي هود (عليه السلام) ، فأنشأوا بذلك ردّاً لا يوازي قوّة الحجّة في الخطاب الموجّه إليهم ، لا من حيث الكفاءة اللغوية ولا من حيث انتظام الحجج المنطقية ، لذا اتّهموه بعدم إتيانه بحجّةٍ تدلّ على صحّة دعواه ، وهذا نابع من فرط عنادهم وعدم اعتدادهم، وأصرّوا على عدم ترك عبادة آلهتهم ، ولم يؤمنوا بما دعاهم إليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة ، ثمّ وسموه بالجنون الذي لحقه من آلهتهم لسبّه إيّاها وصدّه عن عبادتها[٩٠] . وقد لخّص النصّ القرآني هذه المعاني بقوله : ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ...﴾ [هود: ٥٣-٥٤] .

إنّ الردّ الذي أُنتج على لسان المتلقّين حمل سمة الرفض ، وردُّهم هذا مكّن هوداً من الإحاطة بقصديتهم ، فحمله هذا الأمر على أن يعدل في لغة الخطاب تأسيساً على ما صدر عنهم من تحدٍّ وجحد، إذ لم يبقَ له إلاّ التحدّي والتوجّه إلى الله وحده والاعتماد عليه ، والوعيد والإنذار[٩١] . وقد جاء ردّه في قوله تعالى : ﴿...قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود: ٥٤-٥٧] .

ولعلّ في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾[هود: ٥٨] . ما يوحي إلى قيمة صدق الدعوة التي تضمّنها الخطاب ، ويُعدّ مؤشّراً على انتهاء الجدل الذي أدّى إلى فشل إقناعهم ومن ثمّ غياب التواصل .

وبناء على ما تقدّم يمكن القول : بلحاظ القصدية المشتركة في النصين السابقين وهي الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده ، وقد كشف النص القرآني عن هذا القصد بلفظ واحد على لساني شعيب وهود : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ . أمّا من حيث المقبولية فيبدو أنّ أقوال (شعيب وهود) لم تحظَ بالمقبولية من قبل أقوامهم ، لكنّ إمعان النظر فيها يكشف عن تقبّل للنصوص جرى عبر مرحلتين :

الأولى : تتمثّل في فهم النص؛ إذ يمثّل فهم النص خطوة في طريق قبوله بعد توفّر عناصر الأخرى من اتّساق وانسجام ، قال (وودز) : ((يعتمد التواصل الإنساني بشكل حاسم على مقدرة المتلقي على استخلاص فهم أكثر دقة للمعنى المقصود))[٩٢] .

أمّا المرحلة الثانية فتتجلّى في ردّ قومي (هود وشعيب) أنفسهما ، فالخطاب هو رغبة نشطة للمشاركة فيه ، وهذا مظهر من مظاهر مقبولية النص . والمقبولية بالمعنى الواسع ((رغبة نشطة للمشاركة في المقال ومشاطرة الهدف ، وبذا يكون القبول حدثاً قائماً بذاته ، وهو يتضمن الدخول في التفاعل المقالي))[٩٣] . فالنص استثار متلقيه فدفعه دفعاً للمشاركة فيه ، ممّا أدى إلى استمرار تواصل الحوار بين النبيين وأقوامهم .

إنّ رفض فحوى الخطاب وعدم قبول الدعوة إلى وحدانية الله (ﷻ) لا يعني أنّ النص لا يحظى بالمقبولية ، ولا يعني أنّ أواصر التواصل قد تقطّعت بينهما ، بل ما حدث أن تحقّقت وظيفة الاستثارة للنص وفشلت وظيفة الإقناع .

إنّ ما ورد من تحليل للنصّين السابقين بغية إظهار فعل القصد المتعلّق بالمتكلّم، ومدى تأثيره في المتلقين هو في الحقيقة ينطبق على النصوص التي اشتملت على خطابات موجّهة من قبل الأنبياء لأقوامهم جميعاً ، ومثال ذلك خطاب نوح لقومه (الأعراف:٥٩-٦٤)، وهود وقومه (الأعراف: ٦٥-٧٢) ، والنبي صالح وقوم ثمود (الأعراف:٧٣-٧٩) ، ولوط وقومه (الأعراف: ٨٠-٨٤) ، وغير ذلك .

وفيما يتعلّق بالقصد والقبول أيضاً ، ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم: ٤١-٤٥] .

تختلف هنا طبيعة العلاقة بين طرفي الخطاب (المتكلّم والمخاطب) ، عمّا ذُكر آنفا ، ذلك أنّ تركيب النص وألفاظه تدلّ على نوع هذه العلاقة ، وقد راعى المتكلّم في خطابه مقام هذه العلاقة .

وطرف الخطاب الأول إبراهيم (عليه السلام) ، وهو موجّه الخطاب إلى المتلقّي (أبيه)، الذي يمثّل الطرف الثاني، وقد وجّه خطابه نحو المتلقّي باستراتيجية توجيهية مباشرة ، إذ عمد من خلالها إلى استعمال صيغ تمكّنه من تبليغ قصده إلى المتلقّي ، بحيث يحدث التفاعل ومن ثمّ التواصل.

وقد بدأ خطابه بأسلوب النداء ((مع أنّ الحضرة مُغنية عن النداء قصداً لإحضار سمعه وذهنه لتلقّي ما سيُلقيه إليه))[٩٤]. ثُمّ عمد إلى تكراره ، وقد حمل هذا التكرار شحنةً دلالية تهدف إلى التأثير في المتلقّي ودفعهِ إلى الاستجابة ، ذلك ((أنّ عامة الناس يتأثرون بمشاعرهم أكثر مما يتأثرون بعقولهم ، فهم في حاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجة ، فلا يكفي إذن أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال ، بل يجب أن يقوله كما ينبغي))[٩٥] .

وبذلك يكون النداء فعلاً توجيهياً يعمل على تحفيز المتلقّي والتأثير فيه ، على أنّ النداء جاء مقروناً بالاستفهام والأمر والنهي ، وفي هذا الشأن يقول الزمخشريّ : ((كل نداء في كتاب الله تعالى يعقبه فهم في الدين ، إما من ناحية الأوامر والنواهي التي عقدت بها سعادة الدارين ، وإمّا مواعظ وزجر وقصص لهذا المعنى))[٩٦] .

إنّ توظيف المنتج للاستفهام والأمر والنهي في سياق الموقف الذي بني عليه الخطاب ما هو في الحقيقة إلاّ توجيه إلى تحديد مواقفه أو إلى تمكينه من تحقيق أفعال كلامية ذات سلوك مقصود يهدف إلى تحويل الواقع[٩٧] . فالمتكلّم قد ضمّن خطابه أسلوباً تربوياً فاعلاً ، وقد اشتمل على مصطلحات دافعية ، تُوجد عند المتلقّي دافعاً داخلياً يحفّزه على بعث ما في نفسه من طاقات انفعالية[٩٨] .

وإنّ استناده إلى الأمر في خطابه جاء ليمارس من خلاله سلطته المعرفية ، على أنّ سلطته هذه لا تكتسي صبغة الإكراه ، بل لإقناع المخاطَب فيما يعتقد ، لذا نجد أنّ المتكلّم عندما يحاور الآخر يطالبه بالمشاركة في اعتقاداته ، وأنّ مطالبته تتبع سبلاً استدلالية في سبيل تحصيل غرضها[٩٩] .

ولم يكتف منتج الخطاب في بناء خطابه وجعله خطاباً إقناعياً يقصد منه التأثير في المتلقّي والحصول على استجابته على ما يلامس وجدان المتلقّي وعاطفته فحسب، بل نجده بنى خطابه بناءً استدلالياً ؛ إذ ((ابتدأ بالحجة الراجعة إلى الحس ، إذ قال له : ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ ، فذلك حجّة محسوسة ، ثمّ أتبعها بقوله : ﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ ، ثمّ انتقل إلى دفع ما يخالج عقل أبيه من النفور عن تلقّي الإرشاد من ابنه بقوله : ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ ، فلمّا قضى حقّ ذلك انتقل إلى تنبيهه على أنّ ما هو فيه من أثر وساوس الشيطان ، ثمّ ألقى حجّة لائقة بالمتصلّبين في الضلال بقوله : ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾، أي أنّ الله أبلغ إليك الوعيد على لساني ، فإن كنت لا تجزم بذلك ، فافرض وقوعه ، فإنّ أصنامك لم تتوعدك على أن تفارق عبادتها))[١٠٠] .

الذي يُلاحظ أنّ المتكلّم قد أسّس خطابه بناءً على مناسبته للموقف الذي أُنتج فيه، إذ عمد إلى ألفاظ (السمع ، والبصر) وهي ألفاظ لها علاقة بالمحسوس الذي يؤمن به المتلقّي ، فاختار من الألفاظ ما يناسب السياق ، ثمّ صاغها في قالب لغوي مناسب ليخاطب بها المتلقّي ، ثمّ ليتفاعل معه[١٠١] .

وأنّ خطابه قد امتزج بموضوع السورة العام امتزاجاً شديداً لا مجال للفصل بينهما ، فمثّل بذلك صدًى له ودعماً ، إذ تشكّل من مجموعة أبنية تُعدّ بمثابة قضايا صغرى ، تحتوي على جملة دلالات تمثّل الدلالة الكلية أو الموضوعات العامة التي بُنيت عليها السورة المباركة ، إذ كانت مسألة إثبات وحدانية الله ، ونفي الشريك عنه ، وإنذار المشركين من أصنامهم هي الإطار العام التي قامت عليه السورة[١٠٢] .

وأنّ العلاقات الدلالية قد انتشرت بين أجزاء النص ، كعلاقة السبب بالنتيجة التي تُعدّ واحدة من أهمّ العلاقات التي صُنّفت تحت العلاقات المنطقية[١٠٣] ، وتقوم على الربط بين بنى النص ، بما يُسهم في إحداث بناء منطقي بين أجزاء النص . فالعلاقات الدلالية بُنيت هنا تابعة للموقف الخطابي وللوظيفة التواصلية ، ممّا أحدثت تكافؤاً دلالياً[١٠٤] .

وبناءً على ما تقدّم يتبيّن أنّ القصد الذي هدف إليه المنتج قد انصرف إلى استثمار كلّ ما من شأنه أن يُسهم في إنتاج خطاب متّسق ومنسجم ، من أجل إنجاح عملية التواصل وبناء تأثير يدفع المتلقّي إلى الاستجابة والتفاعل .

إنّ ما تغيّاه المتكلّم في خطابه لم يكن ذا أثر في المتلقّي ، إذ كان ردّه سلبياً ، ولم يكن ذا كفاءة تواصلية عالية بالقدر الذي يوازي كفاءة المتكلّم . وقد حول التواصل من جانب إلى جانب آخر ، وهذا لم يأتِ من قصور المتكلّم في إيصال قصده على الشكل المراد ، وإنّما متأتٍّ من عدم وجود تقبّل أو استعداد ذاتي لدى المتلقّي ، وأنّ دلالة ما وُجّه إليه لا ينتمي إلى دلالة ما يعتقد به ، وقد جاء ردّه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ [مريم: ٤٦] .

فكان ردّه ((بمُنتهى الجفاء والعُنجهية بعكس ما في كلام إبراهيم من اللّين والرقّة، فدلّ ذلك على أنّه كان قاسي القلب، بعيد الفهم، شديد التصلّب في الكفر))[١٠٥] . وهو في ردّه قد لجأ إلى ثقافة المجتمع السائدة ((فلا حوار في علاقتهما ، إنّما أمر وطاعة، فللأب أن يعلن عن رغبته ، وللابن أن ينفذ من دون تردد أو تفكير ، إنّها الشريعة السائدة آنذاك ، التي تجعل من علاقة الآباء بأبنائهم علاقة تشبه العبودية))[١٠٦] .

وبذلك أيقن إبراهيم (عليه السلام) فشل التواصل مع أبيه نتيجة غياب مبدأ تقبل الخطاب والتفاعل ، فعدل في خطابه بناءً على ما فهمه من قصد المتلقّي في ردّه ، وجاء قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ [مريم: ٤٧-٤٨] . دليلاً على ما أيقنه المتكلّم في نهاية العملية التخاطبية .

ومن الحوار الذي كان لفهم القصد والإحاطة به أثر في بناء تفاعل تواصلي ، ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النمل: ٢٠ – ٢٦] .

والذي يلاحظ في هذا النصّ أنّ الحوار مبنيٌّ على وجود طرفين ، هما سليمان (عليه السلام) ، وهو موجّه الخطاب بشكل غير مباشر ، و(الهدهد) الذي مثّل الطرف الثاني في الخطاب ، وقد ضمّن الطرف الأوّل في خطابه ألفاظاً إنجازية تتمثّل في الوعيد والتهديد .

وقد طغى بشكل ملفت صوت المتكلّم المفرد واضحاً من خلال وروده في عناصر لغوية كثيرة مثل (أحطت ، جئتك ، وجدت ، وجدتها) ، إذ جعل من الأنا وسيلة أو واسطة حاول من خلالها أن يقوم بوظيفته الإخبارية أو التبليغية .

إنّ ما صدر عن سليمان (عليه السلام) جعل الهدهد ينطلق في خطابه من تأكيد حقيقة تبرّر سبب غيابه وتكون وسيلة لبيان ما قصد إليه ، ومن ثمّ تكون عاملاً لإقناع المخاطَب . لذا نجد أنّه بدأ خطابه بقوله : (أحطت بما لم تُحط به) ، وفي قوله هذا ((تنبيهٌ لسليمان على أنّ في أدنى خلق الله تعالى مَن أحاط علماً بما لم يُحط به))[١٠٧] ، أي أنّه مطّلع على ما لم يطّلع عليه المخاطَب ، فهو ((يبدأ حديثه بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته ، وتضمن إصغاء الملك له))[١٠٨] ، وقد عمد إلى افتتاح خطابه بهذا القول ليوجّه اهتمام المخاطَب ويجذبه إلى أهمية ما سيخبره به لاحقاً ، ففعل الخطاب هذا يشير إلى وظيفة إبلاغية مرتبطة بموقف موضوعي ، ومستندة إلى درجة التأكيد التي يمتلكها المتكلّم عن صدق مضمون خطابه[١٠٩] ، ثمّ ينتقل بعد ذلك إلى إخباره بالمعلومة التي تمثّل نواة الخبر، إذ قال : (جئتك من سبأ بنبأ يقين) .

ولا يخفى أنّ من متطلّبات أيّ حدث ما أن تتوفّر معلومةٌ تمثّل شيئاً مهماً أو خبراً جديداً يحاول المتكلّم أن ينقلها إلى المخاطَب[١١٠] ، وهذا ما نجده في خطاب الهدهد الذي مثّل ردّاً على ما وُجّه إليه ، إذ عمد إلى تضمين خطابه – في سياق معين – بنية نصية مثّلت قضية أو نواة مركزية فيه ، وهي (نبأ) ، إذ ركّز على إظهارها بشكل مجمل ، وقد حملت دلالة واسعة بدليل أنّه بيّنها بتفصيل جاء موزعاً على أبنية نصية متتالية ، وفي مجموعة من الآيات التي مثّلت عناصر رئيسة لهذه القضية .

إنّ العلاقة التي جمعت بين القضية النواة وما جاء بعدها هي لا شكّ علاقة دلالية منطقية ، فهي وإن كانت غير صريحة إلاّ أنّها مثّلت الصّلة بين مجموعة البنى النصية الإخبارية ، ومن ثمّ عملت على تقديم الخطاب بشكل يبدو منسجماً مع ما أُريد له . ولو وقف الخطاب عند المعلومة النواة ، لكان عاجزاً عن إيصال المعنى للمتلقي ، لكنه بيّن المعنى عندما أتى بجمل متتابعة فصّلت ما أُجمل ، وهذا من شأنه أن يضمن للخطاب استمراريته ومن ثمّ التأثير في المتلقّي ليبقى مشدود الذهن ومتواصلاً مع المتكلّم ، فلو خلا الخطاب من هذه الأبنية لكانت الدلالة غير واضحة ، ولا يمكن للمتلقّي أن يتقبّل الخطاب ليتواصل معه ، لأنّه لم يحقّق القصد .

إنّ المعلومة النواة مثّلت أهمية الخطاب ، أو موضوع الخطاب ، لكن بصياغة ملخّصة إلى أبعد حدّ ، وهي نابعة من الفهم الكلّي الذي يحدّده بشكل حاسم القصد التواصلي للمتكلّم[١١١] . وبذلك يكون خطاب المتكلّم قد اتّجه إلى توزيع المعلومات وتكوين شبكتها بالاستناد إلى أساس هذه المعلومة النواة ، وهذا ما يسبّب الأثر الممكن لدى المتلقّي ، ويضمن بذلك نجاح نقل المعلومة التي هي لبّ الموضوع[١١٢] .

وممّا يُلحظ أنّ ثمّة تدرّجاً في تتابع الأبنية ، وهذا التدرّج في التتابع حقّق قيمة أكسبت الخطاب تجدّداً في الدلالة ، ذلك أنّ دلالة الجمل المتتابعة للجملة التي بدأ بها الخطاب قد أضافت فائضاً في المعنى .

إنّ هذا الإجراء في الحقيقة يدخل تحت ما يمكن تسميته البحث عن العلاقات الممكنة التي تعمل على بناء انسجام الخطاب ، ومن ثمّ الوصول إلى قصد الخطاب[١١٣] . وبذلك مُنح الخطاب أسباب القدرة على

الإقناع ، ممّا جعل المتلقّي متفاعلاً مع الهدف المقصود . بمعنى آخر أنّ عناصر الاتساق وآليات الانسجام قد وُظّفت في خطاب الطير للإفصاح عن قصده ، وللتحفيز على فهمه، فنجح بذلك إلى التأثير في المتلقّي .

وبناءً على هذا الفهم يمكن القول : إنّ سليمان (عليه السلام) هو المنتج الأول للخطاب ، وعليه هو مَن ينتظر التقبّل ، والهدهد منتجٌ ثانٍ ، ينتج خطاباً ثانياً (ردّاً) ، نتيجة لتقبّله خطاب المنتج الأول . وإنّ مقبولية الخطاب قد استندت إلى عملية الفهم التي أُسّس لها من خلال توافر الاتّساق والانسجام ، اللذين جعلا من الخطاب وحدة تواصلية جعلت المتلقّي يتفاعل معه .

إنّ قبول المتلقّي للخطاب وإحاطته بمحتوى عموم الخطاب ، أدّى إلى إنجاز فعل تواصلي بينهما ، وقد ظهر أثر هذا الإنجاز من خلال إرسال سليمان للهدهد إلى قوم سبأ ، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن هذا بقوله : ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل : ٢٧– ٢٨] . فلو كان الأمر خلاف هذا لوجدنا أنّ سليمان قد نفّذ وعدَه اتّجاهه .

الخاتمة :

– بدا في نهاية البحث أنّ معياري القصدية والمقبولية محكومان باللغة ، ومنها ينطلقان ، فلا قصد ولا قبول من دونها ، ما يعني أنّ معياري القصدية والمقبولية يسيران على وفق وسائل النحو النصية وآلياته الدلالية ، تلك التي يمثّلها معيارا الاتّساق والانسجام .

– وأظهر البحث أيضاً أنّ ثمة قصديتين: باطنية ومشتقة ، تتعلّق الأولى بالتمثيلات العقلية الخاضعة للذات ، فهي غير لغوية ، ومن ثمّ فإنّها لا تحقّق تواصلاً . أمّا المشتقة فتعتمد على مستعمليها مالكي المعنى الذي تملكه اللغة في الوقت نفسه ، وهذه القصدية هي التي تحقّق فعل التواصل . ما يعني أنّ لها تأثيراً في توجيه النصوص والتحكّم في أبنيتها ، ومن ثمّ تكشف عن وظيفة اللغة المتمثّلة في التواصل والإفهام .

– وأنّ إفهام القصد عملية لا تقع على المنتج من دون المتلقي ؛ لأنّ حصرها بالمنتج فحسب يُعد قتلاً للعملية التواصلية ، والإفهام يستوجب أن يكون لدى المتلقي استعداد لذلك ، بناءً على أنّ الخطاب هو توجيه الكلام نحو الآخر للإفهام . ويتأسّس على هذا أنّ المتلقي يُسهم في إنتاج النص ، فيتشكّل لديه قصدٌ أيضاً بناءً على ما فهمه من القصد الموجّه إليه ، ومن ثمّ يصبح ثمّة تواصل بين طرفي الخطاب .

– للمتلقي أثر كبير في إنتاج النص ، فمهمة إنتاج النص لا يقوم بها المنتج وحده ، بل يشاركه في ذلك المتلقّي ، واستمرار النص هو حصيلةٌ لنتاج التفاعل بين القارئ والنص . ما يعني أنّ النصّ مفتوح ينتجه القارئ في عملية مشاركة ، وللقارئ في هذه الحال أن يلغي حضور المنتج ويتجاوز سلطته وقصديته ، وهذا الأمر إنمّا يكون مع النصوص الأدبية ، لكن مع النص القرآني فإنّ أثر المتلقّي فيه يقتصر على فهم الدلالات واستخراج المعاني ، ولا يمكنه بأي حال من الأحوال إلغاء سلطة المنتج أو تجاوز قصديته ، ما يعني أنّ القارئ أو المتلقّي للخطاب القرآني لا يمكن له أن يكون طرفاً في العملية الإبداعية .

– وأنّ رفض الخطاب وعدم الإحاطة بالقصد من قبل المتلقي لا يعني بالضرورة قصور المنتج في إظهار قصده ، ولا يعني أيضاً عدم قبول النص من قبل المتلقي دوماً ، بل قد يعني هذا تحقّق وظيفة الاستثارة للنص وفشل وظيفة الإقناع ، بدليل أنّ التواصل حادث بينهما .

الهوامش

(١) ينظر : اتّجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص، د. سعيد بحيري ، (مجلة علامات، ج٣٨ ، م١٠ ، ٢٠٠٠) : ١٧٦ .

(٢) ينظر : كتاب العين ، مادة (قصد) : ٥٤/٥ .

(٣) معجم مقاييس اللغة : ١٤٨/٤-١٤٩ .

(٤) ينظر : لسان العرب ، مادة (قصد) : ٣٥٣/٣ .

(٥) القصدية في خطبة السيدة الزهراء ، د. كريم حسين ناصح ، (مجلة العميد ، مج٤ ، ع ٤ ، ٢٠١٥) : ٢٥ .

(٦) النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .

(٧) مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه : ٩٧ .

(٨) ينظر : نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي : ٧٩ .

(٩) اجتهادات لغوية ، تمّام حسّان : ٣٧٩ ، وينظر : في اللسانيات العربية المعاصرة ، دراسات ومثاقفات : ٢٣٢ .

(١٠) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٢٨ .

(١١) ينظر : في اللسانيات العربية المعاصرة ، دراسات ومثاقفات : ٢٣٢ .

(١٢) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٧٧ .

(١٣) مدخل إلى علم اللغة النصّي ، فولفجانج وفيهفيجر : ١٢٨ .

(١٤) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري : ١٨٣ .

(١٥) مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ١٥٢ .

(١٦) الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، نموذج هابرماس ، محمد نور الدين أفاية : ١٨٢ .

(١٧) ينظر : المرجع نفسه : ١٨٢ .

(١٨) تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص : ١٤٠ .

(١٩) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه : ٩٦، والقارئ والنص من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا ، سيزا قاسم ، (مجلة عالم الفكر ، مج ٢٣ ، العددان (٣ ، ٤) : ٢٧٧ .

(٢٠) اللسانيات والدلالة الكلمة ، منذر عيّاشي : ٦٦-٦٧ .

(٢١) الخروج من التيه ، دراسة في سلطة النص ، د. عبد العزيز حمودة : ١٣١ .

(٢٢) ينظر : التحليل اللغوي للنص : ١٢٣ .

(٢٣) نقلاً عن : القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة ، وشن دلال ، (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، بسكرة ، ع٦ ، ٢٠١٠) : ٢٠ .

(٢٤) ينظر : المرجع نفسه : ٢٠ .

(٢٥) تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص : ١٦٤ .

(٢٦) ينظر : المرجع نفسه : ١٦٥ .

(٢٧) ينظر : القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة : ٢٧-٢٨ .

(٢٨) ينظر : نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : ١٨٣ ، ١٨٦ .

(٢٩) ينظر : الإعجاز البياني للقرآن ، د. عائشة عبد الرحمن : ٨٠ .

(٣٠) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص ، هناء محمود إسماعيل : ١٦٩ .

(٣١) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه : ١٠٨ .

(٣٢) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص : ١٦٩-١٧٠ .

(٣٣) المرجع نفسه : ١٧٠ .

(٣٤) ينظر : الدرس النحوي النصّي في كتب إعجاز القرآن الكريم : ١٥٤ .

(٣٥) ينظر : النحو القرآني في ضوء لسانيات النص : ١٧١ .
(٣٦) ينظر : الخطاب في نهج البلاغة : ٢٧٠-٢٧١ .
(٣٧) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٢١١ .
(٣٨) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٤ .
(٣٩) علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات : ١٧٧ .
(٤٠) ينظر : دينامية النص ، تنظير وإنجاز : ٣٨ .
(٤١) العلاقة بين فهم القارئ وفهم كاتب النص، د. فالح شبيب العجمي، (مجلة عالم الفكر، مج ٢٨ ، ع ١ ، ١٩٩٩) : ٣٦٢ .
(٤٢) لسان العرب ، مادة (قبل) : ٥٤٠/١١ .
(٤٣) النص والخطاب والإجراء : ١٠٤ .
(٤٤) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٧٧ ، ومدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ٣١.
(٤٥) في اللسانيات العربية المعاصرة ، دراسات ومثاقفات : ٢٣٥ .
(٤٦) ينظر : مدخل إلى علم النص ، مشكلات بناء النص : ٨٥ .
(٤٧) اتجاهات لغوية معاصرة : ١٧٧ .
(٤٨) ينظر : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٣ .
(٤٩) النص والخطاب والإجراء : ٩٠-٩١ .
(٥٠) ينظر : علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ١١٦ .
(٥١) نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي : ٨٩ .
(٥٢) ينظر : المرجع نفسه : ٨٨ .
(٥٣) ينظر : النص والسياق : ١٨ .
(٥٤) في اللسانيات العربية المعاصرة ، دراسات ومثاقفات : ٢٣٤-٢٣٥ .
(٥٥) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٧٨ .
(٥٦) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ١١٨ .
(٥٧) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٢ ، ومدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ١٥٢.
(٥٨) ينظر : التفاعل بين النص والقارئ ، (فولفغانغ آيزر) ضمن كتاب (القارئ في النص ، مقالات في الجمهور والتأويل) ، تحرير : سوزان روبين سليمان، إنجي كروسمان : ١٣٠ .
(٥٩) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب : ١٠٠ .
(٦٠) ينظر : علم لغة النص ، المفاهيم والاتّجاهات : ١١٣ .
(٦١) ينظر : دينامية النص ، تنظير وإنجاز : ٤٢ .
(٦٢) علم اللغة النصي : ٢١٣/٢ .
(٦٣) نظرية علم النص ، حسام أحمد فرج : ٥٥ .
(٦٤) ينظر : الأسلوبية وتحليل الخطاب ، د. منذر عياشي : ١٥٣ .
(٦٥) ينظر : استقبال النص عند العرب ، د. محمّد المبارك : ١٣٢ .
(٦٦) علم اللغة النصي : ٢١٥/٢ .
(٦٧) في بناء النص ودلالته ، (محاور الإحالة الكلامية) ، مريم فرنسيس : ٤ .
(٦٨) ينظر : المقصدية ودور المتلقّي عند عبد القاهر الجرجاني ، د. حميد لحمداني ، ضمن سلسلة (قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية) ، ج١ : ١٥٣ .
(٦٩) الدرس النحوي النصّي في كتب إعجاز القرآن الكريم : ١٥٨ .

(٧٠) الترجمة وعلوم النص ، ألبرت نيوبرت، غريغوري شريف، تر: د. محيي الدين حميدي : ٩٨ .
(٧١) بلاغة الخطاب وعلم النص : ١١٧ .
(٧٢) ينظر : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٤٦ .
(٧٣) علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ٣٤ .
(٧٤) ينظر : تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص : ١٦٤ .
(٧٥) ينظر : التحليل اللغوي للنص ، كلاوس برينكر : ١٧٦ .
(٧٦) ينظر : تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة ، د. محمود عكاشة : ١٥١ .
(٧٧) ينظر : أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم : ٩٣ .
(٧٨) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ١٨٨ .
(٧٩) ينظر : في ظلال القرآن : ١٣١٧/٨-١٣١٨ .
(٨٠) التحرير والتنوير : ٢٤٣/٨ .
(٨١) ينظر : تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة : ١٥٩ .
(٨٢) التحرير والتنوير : ٦/٩ .
(٨٣) ينظر : النص والإجراء والخطاب : ١٠٤ .
(٨٤) ينظر : في ظلال القرآن : ١٨٤١/١٢ .
(٨٥) ينظر : التحرير والتنوير : ٩٦/١٢ .
(٨٦) الكشّاف : ٢٠٧/٣ .
(٨٧) ينظر : النص والسياق : ٩٤ .
(٨٨) ينظر : التحرير والتنوير : ٩٤/١٢ .
(٨٩) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٧٧ .
(٩٠) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢١٧/٤ .
(٩١) ينظر : في ظلال القرآن : ١٨٩٨/١٢ .
(٩٢) الترجمة وعلوم النص : ١٢٩ .
(٩٣) مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ١٧٨ .
(٩٤) التحرير والتنوير : ١١٣/١٦ .
(٩٥) في بلاغة الخطاب الإقناعي ، د. محمد العمري : ٩٧ .
(٩٦) نقلاً عن البرهان في علوم القرآن : ٣٢٤/٢ .
(٩٧) ينظر : اللغة والحجاج ، أبو بكر العزاوي : ١١٦-١١٨ .
(٩٨) ينظر : جمالية الخطاب في النص القرآني ، د. لطفي فكري الجودي : ١٣١ .
(٩٩) ينظر : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، د. طه عبد الرحمن : ٣٨ .
(١٠٠) التحرير والتنوير : ١١٤/١٦ .
(١٠١) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٤٥٧ .
(١٠٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٥٩/١٦ ، وأهداف كل سورة ومقاصدها : ٢١٣ .
(١٠٣) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٤٧ .
(١٠٤) ينظر : في البنية الدلالية للنص ، ديتر فيهفجر ، ضمن كتاب (إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة) د. سعيد حسن بحيري : ٢٧٤-٢٧٥ .
(١٠٥) ينظر : التحرير والتنوير : ١١٨/١٦ .

(١٠٦) الحوار في القرآن الكريم ، قواعده – أساليبه – معطياته ، محمد حسين فضل الله : ٢٦٤ .
(١٠٧) التفسير الكبير : ١٩٠/٢٤ .
(١٠٨) في ظلال القرآن : ٢٦٣٨/١٩ .
(١٠٩) ينظر : التحليل اللغوي للنص ، كلاوس برينكر : ١٣٨ .
(١١٠) ينظر : مدخل إلى علم اللغة النصّي ، هاينمان وفيهفيجر : ٣٤٥ .
(١١١) ينظر : التحليل اللغوي للنص ، كلاوس برينكر : ٧٣-٧٤ .
(١١٢) ينظر : مدخل إلى علم اللغة النصّي ، هاينمان وفيهفيجر : ٣٤٥-٣٤٦ .
(١١٣) ينظر : لسانيات النص : ٥٢ .

المصادر والمراجع :

الكتب المطبوعة :

- اجتهادات لغوية ، د. تمام حسّان ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ط١ ، دار الكتاب الجديدة ، لبنان ، ٢٠٠٤م .
- استقبال النص عند العرب ، د. محمّد المبارك ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان ، ١٩٩٩م.
- الأسلوبية وتحليل الخطاب ، د. منذر عياشي ، ط١ ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ٢٠٠٢م .
- إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة ، د. سعيد حسن بحيري ، ط١، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، دراسة قرآنية لغوية وبيانية ، د. عائشة عبد الرحمن ، ط٣ ، دار المعارف ، مصر ، ٢٠٠٤م .
- أهداف كلّ سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ، د. عبد الله شحاته ، ط١ ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦م .
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، د. جميل عبد المجيد ، ط١ ، مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م .
- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشيّ ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣ ، مكتبة دار التراث، القاهرة ، ١٩٨٤م .
- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل ، عالم المعرفة ، العدد/١٦٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٩٢م .
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، د. محمّد مفتاح ، ط٣ ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٢م .
- تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة (دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسويّ في القرآن الكريم) ، د. محمود عكاشة ، ط١ ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ٢٠١٣م .
- التحليل اللغوي للنص ، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، كلاوس برينكر ، ترجمة وتعليق : د. سعيد حسن بحيري ، ط١ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .
- الترجمة وعلوم النص ، ألبرت نيوبرت، غريغوري شريف، تر: د. محيي الدين حميدي ، ط٢، جامعة الملك سعود ، ٢٠٠٨م .
- تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ، لقاضي القضاة أبي السعود محمّد بن محمّد العماديّ ، (ت٩٨٢هـ) ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .
- تفسير التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .
- جمالية الخطاب في النص القرآني (قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين)، د. لطفي فكري محمد الجودي ، ط١ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٤م .
- الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، نموذج هابرماس ، محمد أفاية ، ط٢ ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ١٩٩٨م .
- الحوار في القرآن الكريم ، قواعده – أساليبه – معطياته ، السيد محمد حسين فضل الله ، ط٥ ، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٦م .

- الخروج من التيه دراسة في سلطة النص ، د. عبد العزيز حمودة . عالم المعرفة ، العدد/ ٢٩٨ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ٢٠٠٣م .
- الخطاب في نهج البلاغة بنيته وأنماطه ومستوياته (دراسة تحليلية) ، د. حسين العمريّ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٠م .
- الدّرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم ، د. أشرف عبد البديع ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .
- دينامية النص ، تنظير وإنجاز ، د. محمّد مفتاح ، (د.ط) ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٨٧م .
- علم لغة النص المفاهيم والاتّجاهات ، د. سعيد حسن بحيري ، ط١ ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العامة للنشر ــ لونجمان ، ١٩٩٧م .
- علم لغة النص النظرية والتطبيق ، د. عزّة شبل ، ط٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .
- علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، د. صبحي إبراهيم الفقي ، ط١ ، دار قباء للطباعة والنشر ، ٢٠٠٠م .
- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، تون فان دايك ، تر : د. سعيد حسن بحيري ، ط١ ، دار القاهرة للكتاب ، ٢٠٠١م .
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، د. طه عبد الرحمن ، ط٢ ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ٢٠٠٠م .
- في بلاغة الخطاب الإقناعي ، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية (الخطابة في القرن الأول نموذجاً) ، د. محمد العمري ، ط٢ ، أفريقيا اشرق ، المغرب ، ٢٠٠٢م .
- في بناء النص ودلالته محاور الإحالة الكلامية ، مريم فرنسيس ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٨م .
- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط٣٢ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات، د. سعد عبد العزيز مصلوح ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .
- القارئ في النص ، مقالات في الجمهور والتأويل ، تحرير : سوزان روبين سليمان، إنجي كروسمان، تر : د. حسن ناظم، علي حاكم صالح، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ٢٠٠٧م .
- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ)، تح : د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرّائي، ط١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٨٨ م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للعلاّمة الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمّد معوّض ، ط١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٩٩٨م .
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور (ت٧١١هـ)، (د.ط)، دار صادر، بيروت ، (د.ت) .
- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطّابي ، ط٢ ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ٢٠٠٦م .
- اللسانيات والدلالة (الكلمة) ، د. منذر عيّاشي ، ط١ ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ١٩٩٦م .
- اللغة والحجاج ، د. أبو بكر العزاوي ، ط١ ، مطبعة العمدة ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٦م .
- مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد ، ط١ ، مطبعة دار الكاتب ، ١٩٩٢م .
- مدخل إلى علم اللغة النصّي ، فولفجانج هاينه من ، ديتر فيهفيجر ، تر : د. فالح بن شبيب العجميّ ، ط١ ، مطبعة جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٩٩٩م .
- مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، زتسيسلاف واورزنياك ، تر : د. سعيد حسن بحيري ، ط١ ، مؤسسة المختار، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، محمد الأخضر الصبيحي ، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية) ، د. نعمان بوقرة ، ط١ ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ٢٠٠٩م .
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تح : عبد السلام محمّد هارون ، (د.ط) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٩م .
- النحو القرآني في ضوء لسانيات النص ، هناء محمود إسماعيل ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٢م .

- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ٢٠٠١م .
- النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، تر : د. تمّام حسّان ، ط١ ، عالم الكتب القاهرة ، ١٩٩٨م .
- النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، فان دايك ، تر : عبد القادر قنيني ، ط١ ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ٢٠٠٠م .
- نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، د. حسام أحمد فرج ، ط٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .
- نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٧م .

الدوريات والبحوث :

- اتّجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص، د. سعيد حسن بحيري ، (مجلة علامات، ج٣٨ ، م١٠ ، ٢٠٠٠) .
- العلاقة بين فهم القارئ وفهم كاتب النص ، د. فالح شبيب العجمي ، (مجلة عالم الفكر ، مج ٢٨ ، ع١ ، ١٩٩٩) .
- القارئ والنص من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا، سيزا قاسم، (مجلة عالم الفكر ، مج ٢٣ ، العددان ٣ ، ٤) .
- القصدية في خطبة السيدة الزهراء ، د. كريم حسين ناصح ، (مجلة العميد ، مج٤ ، ع٤ ، ٢٠١٥) .
- القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة ، وشن دلال ، (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بسكرة ، ع٦ ، ٢٠١٠) .
- المقصدية ودور المتلقّي عند عبد القاهر الجرجاني ، د. حميد لحمداني ، ضمن سلسلة (قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية ، ج١ ، ٢٠٠٠) .

Abstract

This paper deals the study of two out of seven criteria of text-linguistics suggested by text language scholars as the base of textual linguistics in creative texts. The two criteria are Intentionality and Acceptability. Both criteria form a duality that shades the interaction of text's producer and receiver. This is attributed to the fact that Intentionality is related to text producer and Acceptability is related to text receiver. Both Intentionality and Acceptability are based on language Cohesion and Coherence. There is no intentionality or acceptability without cohesion or coherence.

Thus, this paper attempts to transfigure Intentionality and Acceptability, in the Quranic discourse as a sample, depending on texts that elaborate direct lingual interaction of any form of communication. All these forms are transformed through spoken conversations taken place among discourse producers especially when these discourses are occurring face to face. The form of reception analyzed in this paper is related to the way the discourse receiver receives such address, the matter which makes of him the second part of communication and not the form of reception practiced by the reader when reading the text. Hence, the study investigates the actual receiver in that particular discourse and not the abstract receiver of any time.